Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

The Sources of the Image in the Poetry of Ibn Hani Al-Andalusi

Elham Eslam Salman Al-Qarala *

Karak University College, Al-Balqa Applied University, Jordan.

Received: 26/9/2021
Revised: 23/1/2022
Accepted: 13/2/2022
Published: 30/5/2023

* *Corresponding author:*
elham.qaralleh@bau.edu.jo

Citation: Al-Qarala, E. E. S. (2023). The Sources of the Image in the Poetry of Ibn Hani Al-Andalusi. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(3), 177–189.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i3.5405

Abstract

Objectives: This research aims to study the sources of the artistic image in the poetry of Ibn Hani Al-Andalusi, such as its influence on the Holy Quran, as well as its reliance on human, natural, and cultural source to construct its artistic images.

Methods: The nature of the study, in its various parts, necessitated following a descriptive analytical approach, enabling the revelation of aesthetic and artistic aspects in the poetry of Ibn Hani Al-Andalusi.

Results: The researcher discovered that Ibn Hani Al-Andalusi relied on various sources to construct imagery in his poetry. These sources were evident and apparent in his poetic images. He expressed praise for the Fatimid caliphs and their rulers, and drew from elements of nature as sources in his descriptive poetry, alongside human and cultural sources.

Conclusions: The study concludes that Ibn Hani Al-Andalusi successfully utilized a variety of sources that aligned with his poetic purpose and semantic goals. By diversifying these sources within his poetic images, the poet was able to express his different intentions effectively.

Keywords: Ibn Hani, the image, the source, praise.

مصادر الصورة في شعر ابن هانئ الأندلسي

إلهام اسليّم سلمان القرالة *

كلية الكرك الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى دراسة مصادر الصورة الفنية في شعر ابن هانئ الأندلسي، كتأثره في القرآن الكريم، بالإضافة إلى اعتماده على المصدر الإنساني، والطبيعي، والثقافي، لبناء صوره الفنية.

المنهجية: اقتضت طبيعة الدراسة بمختلف جزئياتها السير فيها وفق المنهج الوصفي التحليلي، الذي من خلاله يمكن الكشف عن المظاهر الجمالية والفنيَّة في شعر ابن هانئ الأنلسي.

النتائج: تبيّن للباحثة أن ابن هانئ الأندلسي قد اتكأ على مصادر متنوعة لبناء الصورة في شعره؛ حيث بدت تلك المصادر واضحة جليّة في صوره الشعرية، وقد تبين للباحثة بعد دراسة النماذج الشعرية التي وردت فيها مصادر الصورة أن ابن هانئ قد استرفد من القرآن الكريم مصدرًا ارتكز عليه في مدحياته للخلفاء الفاطميين وولاتهم، بالإضافة إلى ذلك فقد استمد من عناصر الطبيعة مصدرًا في شعره الوصفي، بالإضافة إلى المصدرين الإنساني والثقافي.

الخلاصة: خلُصتْ الدراسة إلى أن ابن هانئ الأندلسي قد نجح في استرفاد مصادرًا متنوعة تناسب غرضه الشعري ومراميه الدلالية، وذلك من خلال تنويعه لتلك المصادر في صوره الشعرية؛ حيث استطاع الشاعر من خلال توظيف هذه العناصر أن يعبر عن مقاصده المختلفة.

الكلمات الدالة: ابن هانئ، الصورة، المصدر، المدح.

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة:

إن دراسة مصادر الصورة في شعر ابن هانئ الأندلسي في هذا البحث تعد ميزة فارقة لهذا الجانب، إذ عمدت الباحثة لتبيين هذه المصادر التي أتاحت للشاعر ابن هانئ الفرصة في بناء وتشكيل صوره الشعرية ضمن قصائده، وعليه وقع اختيار الباحثة على هذا العنوان.

ومن خلال البحث وتقصي الدراسات السابقة التي تناولت شعر ابن هانئ الأندلسي وحياته، جرى العثور على دراسات تناولت موضوعات الشعر عند ابن هانئ، وأيضًا بعضها تناول مجالات الصورة الشعرية وأنماطها وتشكيلاتها الفنّيَّة، ومثال على هذه الدراسات، دراسة " الوحدة العضوية في ديوان ابن هانئ الأندلسي"، و" الصورة الشعرية في ديوان ابن هانئ الأندلسي "، وغيرها من الدراسات والأبحاث، إلا أن هذه الدراسة تهدف للكشف عن مصادر الصورة في شعر ابن هانئ، وتوضيح تلك المصادر التي أسهمت في بناء الصورة الشعرية، وذلك من خلال دراسة نماذج شعرية متعددة في ديوان ابن هانئ الأندلسي الذي يضم أشعارًا مختلفة الأغراض.

وعند عملية الدراسة والبحث في هذا الصدد، فقد أسفرت منهجية التحليل للأشعار حقيقة واضحة بارزة في شعر ابن هانئ الأندلسي، حيث لوحظ اعتماده على المصادر بمختلف منابعها لبناء الصورة الفنّيَّة، ولكن كان التركيز عند ابن هانئ على الاسترفاد من القرآن الكريم في مدحياته للخلفاء الفاطميين وولاتهم، ولعل ذلك مرده للتقرب من الخلفاء الفاطميين، والحصول على هباتهم وأعطياتهم، فهم قد جاؤوا بمذهب عقائدي جديد أرادوا فرضه وبسطه على المجتمع والأفراد الذين يقعون تحت حكمهم، لذلك جاء تركيز ابن هانئ على القرآن الكريم بعدّه مصدرًا من مصادر بناء الصورة الشعرية.

وعليه، فقد ارتأت الباحثة دراسة موضوع مصادر الصورة عند ابن هانئ الأندلسي على نحو مباشر لهذه المصادر، فجاءت هذه الدراسة لتتضمن الجزئيات التالية:

- **تمهيد** يشمل:
  - معلومات عن الشاعر ابن هانئ الأندلسي
  - مقدمة عن الصورة الفنّيَّة
- **مصادر الصورة في شعر ابن هانئ:**
  1. التأثر في القرآن الكريم،
  2. المصدر الإنساني.
  3. المصدر الطبيعي.
  4. المصدر الثقافي.
  - **الخاتمة، وتتضمن نتائج الدراسة.**

تمهيد

- **معلومات عن الشاعر ابن هانئ الأندلسي، ..**

هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي(320هـ-362هـ)[1]، من ولد روح بن حاتم بن قبيضة بن المهلب، أديب شاعر مفلق، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، ولد بإشبيلية ونشأ فيها، ونال حظًا واسعًا من علوم الأدب وفنونه، وبرز في الشعر فلم يباره في حلبته مبارٍ، ولم يشق غباره لاحق، وكان متهمًا بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري، وما زال يغلو في ذلك حتى تعدّى الحق، وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل، فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه، وأشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءًا للفتنة، فخرج متنقلًا في البلاد ووصل إلى عدوة المغرب، فلقي بها جوهرًا القائد مولى المنصور فمدحه، ثم رحل إلى الزَّاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية وأخيه يحيى، ثم بلغ خبره المعز أبا تميم فاستقدمه فأحسن نزله وبالغ في اكرامه، ولما رحل المعز إلى الديار المصرية استأذنه في الرجوع إلى عياله ليأتي بهم ويلحق به، فأذن له، وفي أثناء عودته عثر عليه مقتولًا، ولم يعرف سبب ذلك ولا فاعله،(الحموي، 1993).

- **مقدمة عن الصورة الفنّيَّة، ..**

حظيت الصورة الفنّيَّة باهتمام الدارسين منذ القدم وحتى عصرنا الحديث، فالصورة هي اللوحة التي يبحث عنها القارئ في العمل الأدبي ليتأملها،

[1] - انظر ترجمته أيضًا في: " ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1972م، ج4، ص421 "، و" ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، منشورات وزارة الثقافة، 1963م، ج4، ص67 "، و" ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، ط1، اعتنى به: حسّان عبدالمنان، عمان – الأردن، نشر بيت الأفكار الدولية، 2004م، ص1755 ".

وتعتمد على ركائز متعددة لتشكيلها عند الشاعر، مثل اللفظ، والمعنى، وسعة الخيال، وغيرها من الركائز والأركان المشكلة للصورة، إذ من خلالها يستطيع الشاعر أن يضع الأشياء المعنوية أو المادية على هيئة فيها نبعض من الحيوية والتمظهر.

ومن القدماء الذين خاضوا في مجال الصورة " أرسطو "، إذ يقول: " ولكن أعظم الأساليب حقًا هو أسلوب الإستعارة "(طاليس، 1967م)، أما الجاحظ فقد عدّ الشعر ونظمه شيئًا من التصوير: " إنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير "(الجاحظ، د.ت)، بينما ذهب الجرجاني في حديثه عن الصورة بقوله: " إن سبيل الكلام هو سبيل التصوير والصياغة "(الجرجاني، 1984م)، أما القرطاجني فقد جعل دور الصورة يدور في ايجادها الأشياء في المخيلة، حيث قال: " محصول الأقاويل الشعرية تصوير الأشياء الحاصلة في الوجود، وتمثيلها في الأذهان "(القرطاجني، 1966م).

ومن النقاد من عّد الصورة الشكل الخارجي للقصيدة، فقدامة بن جعفر قال في ذلك: " إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة "(ابن جعفر، 1936م).

أما النقاد المحدثين فقد تناولوا الصورة بشروحات وتعريفات توضح وتكشف عن دورها في الشعر، فعز الدين إسماعيل قد جعل الصورة الشعرية مناطة بالأمور الوجدانية، حيث قال: " الصورة تركيبية وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع "(إسماعيل، 1981م)، أما علي البطل فقد عدَّ الصورة تشكلات لغوية في حقيقتها، إذ قال: " الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها "(البطل، 1983م).

ومن النقاد والدارسين المحدثين من عرّف الصورة بتعريف محدد بأنها: " هي نقل تجربة حسية أو حالة عاطفية من الشاعر إلى المتلقي في شكل فنيّ تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر به عن جانب من جوانب التجربة الشعورية الكاملة في القصيدة "(هدية، 1984م).

ومنهم من عدّها " جوهر الشعر، وأداته القادرة على الخلق والعطاء بما توصله إلى نفوس الآخرين من خبرة جديدة، وفهم عميق للأمور "(عودة، 1987م).

والصورة قد ترد في الكلمة الحقيقية، اذ لا يُعدّ التركيب المجازي شرطًا لبناء الصورة، " إن الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب "(هلال، 1997م).

وعليه، فالصورة الفنّيَّة بالرغم من تعدد مفاهيمها وكنهها عند الدارسين القدماء والمحدثين، فهي في المحصلة تجربة للأديب، إذ يعمل على نقلها للقارئ على نحو فيه إبداع وجمال أسلوبي، حيث تعتمد على ركائز متعددة لبنائها، كاللفظة المختارة بعناية، والمعاني القوية، وسعة الخيال، فهذه الأمور تعدّ من دعائم بناء الصورة الشعرية الناجحة.

- **مصادر الصورة في شعر ابن هانئ...**

تنوعت مصادر الصورة الشعرية عند الشعراء منذ القدم، وارتبطت هذه المصادر بآلية الكشف عن أسرار الصورة في العمل الأدبي، فالصورة الفنّيَّة من حيث الدواعي تهدف إلى التعبير عما يتعذر التعبير عنه، فيلجأ الأديب إليها لعقد الصلة والتواصل بينها وبين القارئ، والشاعر ابن هانئ كغيره من الشعراء عمد إلى هذا الأمر، إذ كان لتنوع المصادر أثرٌ واضح في شعره وتصويره.

ومهما تكن قدرة الأديب في عمله الأدبي، فهو لا يستطيع أن ينسلخ عن عصره، وبيئته، وثقافة عهده، ولن يقوى على إيجاد محطات معرفية لنفسه وتفكيره دون تجربة ومراس في حياته على نحو عام، فالذي يحدث عند تشكل الصورة في مخيلة الشاعر " أن الشاعر يستثير هذه المادة في الهيئة التي يختارها، وتعبر عن نفسيته من خلال استدعائها من مخزون ذاكرته، بحيث تشكل هذه في النهاية معادلًا مساوقًا لتجربته الشعرية "(الشناوي، 2003م).

والصورة الفنّيَّة لا تبنى من العدم أبدًا، فابن طباطبا قال في هذا الجانب: " واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف، والتشبيهات، والحكم، ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيناها، ومرت به تجاربها وهم أهل وبر: صحونهم البوادي، وسقوفهم السّماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفي كل واحدة منها في فصول الزمان على اختلافها: من شتاء، وربيع، وصيف، وخريف، ومن ماء، وهواء، ونار وجبل، ونبات، وحيوان، وجماد، وناطق، وصامت، ومتحرك، وساكن، وكل متولد من وقت نشوئه إلى حال انتهائه "(ابن طباطبا، 2005م).

1. **التأثر في القرآن الكريم:**

يُعدّ القرآن الكريم مصدرًا من المصادر التي يسترفد منها الشعراء لبناء صورهم الشعرية، ولعل استمالة الشعراء لهذا المصدر مرتبطة بقضية بالغة الأهمية في مخيلتهم، وهي مدى تأثر القارئ أو المتلقي في الصورة الشعرية التي تأتي بحلل دينية وعقائدية، هذا على صعيد، أمَّا على صعيدٍ آخر يقيس بعض الشعراء إرضاء ممدوحهم بتلك الهالة الدينيَّة التي يوظفونها في شعرهم وصورهم الفنّيَّة، إذ يُذيب الشاعر كُلًّا منهما في الآخر – أي الممدوح والدين -، لينال الرّضا والزُّلفا من وراء ذلك.

" ويوظف الأديب تراثه الدّيني ضمن إنتاجه الأدبي، ويثير في القُرَّاء العواطف الدينيَّة، كي تكون استجابتهم أقوى "(الأصفهاني، 2011م)، " ولعل

غنى القرآن الكريم واحتوائه على كثير من القصص الدرامية، والرموز الدّالة، وصلاحيته لكل زمان ومكان، كانت ضمن الأسباب التي دفعت الشعراء إلى أن يُيمّموا وجوههم شطره، ليغرفوا من منهله الذي لا ينضب "(النوافلة، 2008م).

والموروث الديني " يُعدّ من مصادر الإلهام لدى الأدباء، حيث يستمد منه الكُتَّاب والشعراء نماذج وموضوعات وصورًا أدبية عبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة "(زايد، 1978م).

وعلى هذا النهج والتأثر سار الشاعر ابن هانئ الأندلسي في كثير من قصائده، حيث ضمّن صوره الشعرية شذرات من الآيات القرآنية، وكان مراده في ذلك الحصول على الأعطيات والهبات من ممدوحيه، وخاصة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، حيث نظم في مدحه قصائد متعددة سُمّيت " بالمعزّيات ".

ونبدأ في هذا الجانب بقصيدة قالها ابن هانئ يمدح من خلالها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، حيث أنشده إياها في المنصورية، ويذكر فيها فتح مصر على يد القائد " جوهر الصّقلّي "([2])، حيث جاءت القصيدة بمطلع يشير من خلاله ابن هانئ لبني العباس خصوم الفاطميين – كما يصفهم-، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

تَقُولُ بَنُو العَبَّاسِ هَلْ فُتِحَتْ مِصْرُ فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ

إلى أن يصل إلى خطابه الذي وجهه لخصوم الفاطميين من بني العبَّاس، حيث يهددهم بالموت والهلاك القادم من المعز وجيشه الذي يقوده جوهر، فتغدو صورتهم كزرعٍ قد حُصِد، ونارٍ قد خمدت وأُصفأت، وهو في هذا التركيب يظهر تأثره جليًا في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾(سورة الأنبياء، الآية 15)، إذ قال ابن هانئ:

فَكُونُوا حَصِيْدَاً خَامِدِيْنَ أَو ادَّعُوا إلى مَلِكٍ فِي كَفّهِ المَوتُ والنَّشْرُ

وأيضًا في عجز البيت السابق نلحظ تأثر ابن هانئ في آيات من القرآن الكريم، حيث جعل الموت والبعث بيد الخليفة المعز الفاطمي، وهذا فيه إلحادٌ من الشاعر، وهو كثير الورود في أشعاره التي قالها في المعز لدين الله، وقد كان تأثره في قول تعالى: ﴿ وإِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ (سورة عبس، آية 22).

ولابن هانئ قصيدة مدح تُعدّ من أشهر ما قاله في المعز لدين الله الفاطمي، إذ بالغ في المدح والتزلف من المعز الفاطمي، فأوقعته تلك المغالاة في دائرة الإلحاد والكفر، حيث بدأها بقوله: (الأندلسي، 1980م)

مَا شِئْـتَ لا مَا شَاءَتِ الأَقْـدَارُ فَاحْكُـمْ فَأَنْتَ الوَاحِـدُ القَهَّارُ

وبعد طول مدح للمعز الفاطمي، يصل ابن هانئ في حديثه ليمجّد الخلفاء الفاطميين، فيعيرهم من معجزات الأنبياء – عليهم السلام -، فهم – على حدّ تعبيره - لو لمسوا الصخر لتفجّرت منه ينابيع الماء، حيث قال:

لَوْ تَلْمِسُونَ الصَّخْرَ لانْبَجَسَتْ بِهِ وتَفَجَّـــرَتْ وتَدَفَّقَـــتْ أَنْهَارُ

وهو في البيت السابق يبدو تأثره جليًا في قول الله تعالى: ﴿ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾(سورة الأعراف، الآية 160).

وإذا ما أراد ابن هانئ وصف ممدوحه المعز لدين الله بالخشوع، نجده يبني صورة الخشوع والورع هذه بالاستمداد لها والتناص من القرآن الكريم، فالشاعر – يرى - بأن هذه السمة للخليفة ستبقى سُنَّة يقتدي بها الناس من بعده، ولن تتبدل أو تتغير هذه السُّنَّة – على حدّ قوله -، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

بَيْنَ المَوَاكِبِ خَاشِعًا مُتَواضِعَاً والأَرْضُ تَخْشَعُ بِالعُلَى وَتَمِيْلُ
فَتَيَمَّمُوا ذَاكَ الصَّعِيْـدَ فَإِنَّهُ بِالمِسْـكِ مِنْ نَفَحَاتِهِ مَعْلُوْلُ
سَيَصِيْرُ بَعْدَكَ لِلأَئِمَّـةِ سُنَّةً فِي الشُّكْرِ لَيْسَ لِمِثْلِهَا تَبْدِيْلُ

وهو في هذه الصورة يبدو تأثره ظاهرًا في الآية القرآنية: ﴿ فتيمّموا صعيدًا طيبًا ﴾ (سورة النساء، آية 43)، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلً ﴾(سورة الأحزاب، الآية 62).

[2] - هو: جوهر بن عبدالله الصّقلّي مؤسس مدينة القاهرة، ولد بمدينة صقلية وإليها ينسب، أرسله الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر لفتحها سنة 358هـ، فتمَّ له ذلك، ثم بدأ بإنشاء مدينة القاهرة، وتشييد الجامع الأزهر، انظر ترجمته في: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص54.

وفي القصيدة ذاتها يصف ابن هانئ قوة المعز لدين الله الفاطمي، فهيبته – كما يرى الشاعر- تزلزل وتتضعضع منها الجبال، وهو هنا يقتبس لمقاربة هذا المعنى وهذه الصورة من قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾(سورة طه، الآية 105-106)، حيث قال ابن هانئ: (الأندلسي، 1980م)

واسْتَشْعَرَتْ أَجْبَالُهَا لَكَ هَيْبَةً حَتَّى حَسِبْنَا أَنَّهَا سَتَــزُولُ

ولم يقتصر تناص ابن هانئ من القرآن الكريم كمصدر من مصادر صوره في مدحه للخليفة الفاطمي المعز، بل اقتبس من القرآن وآياته لصور ممدوحيه الآخرين، ففي إحدى قصائده يمتدح القائد جوهر الصقلي، وهو قائد جيوش المعز الفاطمي، إذ يصور أوضاع عامة الناس وما تعرضوا له من ظلم وتعسف في حكمهم، فجاءهم المخلص- كما يدعي ابن هانئ - جوهرٌ، ليُقبِل عليه الناس مسرعين خاضعين، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

وإنَّ بِأَهْلِ الأَرضِ فَقْـرًا وفَاقَةً إِليْكَ وكُلُّ النَّاسِ آتِيْكَ مُهْطِـعُ

ويبدو تأثره هنا جليًا في قوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾(سورة القمر، الآية 8).

ومن الأمراء الذين امتدحهم ابن هانئ " جعفر بن علي الأندلسي"[3] أمير " الزَّاب "، وفي إحدى قصائد مدحه لهذا الأمير يصف ابن هانئ القائد جعفر بأن الملائكة تقاتل إلى صفه في المعركة، وهذه الملائكة على – حد تعبيره - بلغ عددها تسعة الآف مُسوَّمة ورواياتها تلوح عاليًا، حيث قال: (الاندلسي، 1980م)

وتِسْعَةُ الافٍ عَلَيْهَا عَجَاجَةٌ مُسَوَّمَةٌ رَايَاتُهُنَّ خُفُــوقُ

فالصورة في البيت السابق قد جاء بها ابن هانئ من تناصه بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾(سورة آل عمران، الآية 125).

وكان لابن هانئ الأندلسي أيضًا قصائد مدح بشقيق جعفر بن علي الأندلسي، وهو " يحيى بن علي الأندلسي "[4]، إذ ورد في ديوانه قصيدة يمدح من خلالها جعفرًا ويحيى، ويهنئ يحيى بجارية أهداها له جعفر، وفي إحدى أبيات القصيدة يصف نفسه بالخاسر قبل أن يلتقي ويتعرف بيحيى بن علي، وكأن تلك الأيام التي عاشها قبل معرفة ممدوحه لا تحسب من آيامه، متأثرًا في قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (سورة العصر، الآية 1-2)،حيث قال ابن هانئ: (الأندلسي، 1980م)

فَلا تَسْألاني عَنْ زَمَانِي الذِي خَلا فَو العَصْرِ إِنّي قَبْلَ يَحْيَى لَفِي خُسْرِ

وفي القصيدة ذاتها يتابع ابن هانئ حديثه ومديحه ليحى وجعفر ابني علي الأندلسي، فالأمير جعفر قد اتخذ من أخيه يحيى مساعدًا له في إدارة حكم إمارته، فيتطرق ابن هانئ لهذا الأمر، ويصور ذلك بمناجاة سيدنا موسى – عليه السلام – لربّه تعالى عندما ناجاه وطلب أن يجعل أخاه هارون وزيرًا يشد به أزره، حيث جاء في كتاب الله الحكيم: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (سورة طه، الآية 25-27).

وإذا ما قسنا مضمون الآيات السابقة بأبيات ابن هانئ نجد التناص واضحًا جليًا، فيصور ما حدث مع هذين الأميرين بقصة سيدنا موسى – عليه السلام -، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

لِذَلِكَ نَاجَى اللهَ مُوسَــى نَبِيُّــهُ فَنَادَى أَنْ اشْرَحْ مَا يَضِيْقُ بِهِ صَدْرِي
وَهَبْ لِي وزِيْرَـًا مِنْ أَخِي أَسْتَعِنْ بِهِ وشُدَّ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْــهُ فِي أَمْـرِي

وبناءً على ما تقدم، فقد ظهر جليًا بعد التحليل لنماذج مختلفة من شعر ابن هانئ الأندلسي مدى اتكائه على القرآن الكريم كمصدر من مصادر

[3] - هو: أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي، صاحب المسيلة، وأمير من أعمال أفريقيا، كان سمحًا كثير العطاء مؤثرًا لأهل العلم، وكان أبوه علي قد بنى المسيلة، انظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص360.

[4] - هو: يحيى بن علي بن حمدون الجذامي الأندلسي، له ولأبيه ولأخيه جعفر بن علي رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية مذكورة، وعلي بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزَّاب الأكبر، وسكنها ابن جعفر وعظم شأنه، انظر ترجمته في: ابن الآبار، محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، ط2، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، 1985م، ج1، ص305.

بناء الصورة الشعرية في قصائده، فابن هانئ من شعراء التَّكسُّب بامتياز في عصره، ولكي يصل إلى مراده لاحظنا اعتماده على القرآن الكريم لبناء صوره الفنّيَّة والشعرية، فهو عندما كان يُذيب صور ممدوحيه الفنّيَّة في قالب الدّين كان يسعى إلى غرضين، الأول: تأثير وقع النص الشعري في نفوس متلقيه من عامة الناس، أما الغرض الثاني من مسعاه هذا هو الوصول إلى إرضاء ممدوحيه، لتتحقق له الزُّلفة والقربى منهم، ومن عطاياهم.

2. المصدر الإنساني ومتعلقاته...

يعدُّ الإنسان محور التفاعل في الحياة اليومية، وهذا التفاعل مقرون بالأفعال والأقوال والمجريات التي تحدث وتصدر عنه، ويضاف إلى ذلك أيضًا جزئيات الحياة، وواقع المجتمع، مثل: التقاليد، والعادات، والسمات المميزة للفرد، التي تعمل على قيام الحضارات والمجتمعات.

والشاعر ابن هانئ الأندلسي قد أتى بالعديد من صوره الشعرية من عالم الإنسان ومستلزماته، وهذا يعني لنا بأنها محاولة من الشاعر لبث الحياة والحركة في صوره الشعرية، فالإنسان وخلقه هو أساس هذا الوجود الكوني، لذلك جاءت قصدية ابن هانئ ليجعل المصدر الإنساني من مصادر بناء صوره الفنّيَّة، ولتبرز تلك الصور مفعمة بالحياة والتطور،

ونفتتح في هذه الجزئية من الدراسة ما قاله ابن هانئ في مدح المعز لدين الله الفاطمي، إذ استرفد لصور مدحه من المصدر الإنساني ولوازمه، فقصيدته التي قالها مادحًا الخليفة الفاطمي المعز، ومهنّئا إياه بشهر رمضان المبارك، ومطلعها: (الأندلسي،1980م)

الحُبُّ حَيْثُ المَعْشَرُ الأَعْدَاءُ والصَّبْرُ حَيْثُ الكِلَّةُ السَيْرَاءُ

نجد من خلالها اتكائه على المصدر الإنساني لبناء صوره الشعرية، ففي البيت التالي يشبه ابن هانئ كواكب السماء بإنسان يخضع لهيبة ممدوحه المعز، وهذه الكواكب والنجوم تبطن السجود له، وتعلن الإيماء والسيمائية له، حيث قال:

لَيْسَتْ سَمَاءُ اللهِ ما تَرْأَوْنَهَا لَكِــنَّ أَرْضًا تَحْتَوِيْهِ سَمَاءُ
أَمَّا كَواكِبُهَا لَهُ فَخَواضِــعٌ تُخْفِي السُّجُودَ وَيَظْهَرُ الإِيْمَاءُ

وفي القصيدة ذاتها، جعل ابن هانئ من الصباح والمساء إنسانًا يطيع ممدوحه المعز الفاطمي، ولا يعصي له أمرًا، حيث قال:

نَزَلَتْ مَلائِكَةُ السَّمَاءِ بِنَصْرِهِ وأَطَاعَهُ الإِصْبَاحُ والإِمْسَــاءُ

وفي موطن آخر ضمن مدحياته للمعز الفاطمي، يصور ابن هانئ القضاء والأجل بإنسان يعفو ويصفح عن الأعداء، ولكن هذا العفو مقرون بعفو المعز لدين الله، ويشبه الموت أيضًا بإنسان له حكم نافذ، إذ يستمد هذا النفوذ من شخص المعز لدين الله حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

وكَائِنْ تَبيْــتُ لَهُ عَزْمَةٌ مُضَرَّجَــةٌ بِدِمَاءِ العِدَى
فَيَعْفُو القَضَاءُ إِذَا مَا عَفَا وتَسْطُو المَنُونُ إِذَا مَا سَطَا

وأعقب بعد هذين البيتين ابن هانئ ما يؤكد على صورته، حيث يشير من خلال البيت التالي إلى سير القضاء وانسجامه بما يريده المعز الفاطمي – على حد تعبيره -، حيث قال:

لَهُ هَــذِهِ ولَهُ هَــذِهِ فَسُجْلٌ حَيَاةٌ وسَجْــلٌ رَدَى

ويصور ابن هانئ في قصيدة أخرى سيف المعز لدين الله بعضيف يزور رقاب العدى، ويتساءل: هل عند رؤوس الأعداء من الروم ترحيب بهذا الزائر؟؟، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

ولَمْ أَرَزَوَّارًا كَسَيْفِــكَ لِلعِدَى فَهَلْ عِنْدَ هَامِ الرُّومِ أَهْلٌ وتَرْحِيْبُ

وفي مدحة قالها ابن هانئ في المعز لدين الله الفاطمي، يصف – بعد أن خلص من مدحه – قوة الخليفة وجيشه الذي يتصدى للأعداء، فالرماح الرُّدينة متعطشة للدماء وكأنها إنسان أصابه الضمأ، والسيوف البيض الحادة قد ارتوت من تلك الدماء، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

وتَعَانَقُــوا حَتَّى رُدَينِيَّاتِهِمْ عَطْشَــى وبِيْضُهُمُ الرِّقَاقُ رِوَاءُ

وفي القصيدة ذاتها يصف ابن هانئ كرم وجود المعز لدين الله، حيث يصور الأنواء في السَّماء وكأنها إنسان قد خجل من مدى كرمه، وجزيل عطاياه، حيث قال:

فَعَنَتْ لَكَ الأَبْصَارُ وانْقَادَتْ لَكَ الأَقْدَارُ واسْتَحْيَــتْ لَكَ الأَنْواءُ

ونلاحظ صورة قريبة للصورة السابقة ضمن مدحيات ابن هانئ للمعز الفاطمي في موطن آخر، حيث يشبه الغيث بإنسان يقتدي بما رآه من كرم وجود في المعز لدين الله الفاطمي، وأصبح ذلك المطر مقلدًا له، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

ولَمْ يَحْكِكَ الغَيْـثُ في نَائِلٍ ولَكِـنْ رَأَى شِيْمَـةً فَاقْتَدَى

وفي قصيدة قالها ابن هانئ في مدح المعز لدين الله الفاطمي- ويقال أن هذه القصيدة أول شعر مدحه به - نجده يصور الشمس وكأنها بشرٌ، حيث نسيت وغاب عن فكرها مطلعها من المشرق، والسبب – على حد تعبيره - سنا وضياء ممدوح الشاعر، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

وجَـدَ العَيَانُ سَنَـاكَ تَحْقِيْقًا ولَمْ تُحِـطِ الظُّنُونُ بِكُنْهِهِ تَصْرِيْحَا
أَخْشَاكَ تُنْسِي الشَّمْسَ مَطْلَعَهَا كَمَا أَنْسَـى المَلائِكَ ذِكْرُكَ التَّسْبِيْحَا

أما في البيتين التاليين، فيؤنسن ابن هانئ الرياح، حيث تنبعث منها النسائم وكأنها إنسان يتنفس أنفاسا عطرة، حيث تشبه تلك النسائم العطرة أنفاس المعز لدين الله، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

والرِّيْحُ تَبْعَـثُ أَنْفَاسًا مُعَطَّرَةً مِثْلَ العَبِيْرِ بِمَاءِ الوَرْدِ يَخْتَلِطُ
كَأَنَّمَا هِيَ أَنْفَاسُ المُعِزِّ سَرَتْ لا شُبْهَةٌ لِلنَّدَى فِيْهَا ولا غَلَطُ

ولم تقتصر صور ابن هانئ الشعرية من المصدر الإنساني على ممدوحه المعز لدين الله الفاطمي فحسب، بل نراه يوظف هذا المصدر لبناء الصورة عند حديثه عن جعفر بن علي الأندلسي أمير الزَّاب، حيث شبه ابن هانئ - في إحدى مدحياته لجعفر – الصباح بإنسان قد ارتدى نورًا وضياءً من الممدوح جعفر، وكأنه هو الذي أمدّ الصباح بنورٍ مسفرٍ، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

لَبِسَ الصَّبَاحُ بِهِ صَبَاحًا مُسْفِرًا وسَقَتْ شَمَائِلُهُ السَّحَابَ سَحَابَا

وفي القصيدة ذاتها يأتي ابن هانئ بصورة للدهر قد بدا فيها شائب الرأس، إذ استرفد هذه الصورة من المصدر الإنساني، فلم يصرح بالإنسان هنا، ولكنه ذكر شيئًا من لوازمه وهو الشيب، واصفًا مشيب الدهر جرّاء بأس وقوة ممدوحه، حيث قال:

وسَأَلْتُ مَا لِلدَّهْـرِ فِيْهَا أَشْيَبًا فَإِذَا بِهِ مِنْ هَـولِ بَأْسِكَ شَابَا

وإذا ما خرجنا من دائرة المدحيات عند ابن هانئ، وكيف وظف عناصر المصدر الإنساني لبناء صوره الشعرية، نجده يعكف على هذا المصدر في أغراضه الشعرية الأخرى، فهو في البيت التالي يشبه الشباب – عنصر الحيوية لدى الإنسان - بشخص يتراجع للوراء رويدًا رويدا، وهنا حزن من الشاعر على ذهاب ربيع العمر، وطاقاته الإيجابية، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

تَقَدَّمْ خُطَىً أَوتَأَخَّرْ خُطَىً فَإِنَّ الشَّبَابَ مَشَـى القَهْقَرَى

ويُتبِعُ ابن هانئ البيت السابق بصورة أخرى يؤنسن من خلالها الحياة وصروف الدهر، حيث جاء بصفة الغدر، وهي من لوازم الإنسان ليشبه الحياة بها، أيضًا أضفى هذه الصفة على الشباب، ووصفه بالغادر حتى وإن وفى، إذ قال:

وكَانَ مَلِيًّا بِغَـــدْرِ الحَيَاةِ وأَعْجَـــبُ مِنْ غَدْرِهِ لَوْ وَفَى

وبعد هذه الأوصاف للشباب والحياة في نظر ابن هانئ، نجده يصور المشيب بلباس يرتديه بحلته الجديدة، ولكن هذه الحلة مصيرها للنهاية، وهي جاءت للفناء والزوال، حيث قال:

لَبِسْتُ رِدَاءَ المَشِيْـبِ الجَدِيْدَ ولَكِنَّهَـا جِـدَّةٌ لِلْبِلَـى

وفي إحدى خمرياته ومجون لهوه، يصور ابن هانئ نجوم السماء بإنسان يركض في الظلام، وكان الصباح يطارد تلك النجوم، وكَأَنَّ له ثأر عندها، وهي صورة إنسانية حركية أبرزها في قوله: (الأندلسي، 1980م)

أَقَمْـتُ لِشُرْبِهَا عَبَثًا وعِنْـدِي بَنَاتُ اللَّهْـــوِ تَعْبَثُ بِالعُقَارِ
ونَجْمُ الليْلِ يَرْكُضُ في الدَّيَاجِي كَأَنَّ الصُّبْـحَ يَطْلُبُـهُ بِثَارِ

وعطفًا على ما سبق، لقد برع ابن هانئ من خلال توظيف المصدر الإنساني ولوازمه في صوره الشعرية، حيث أظفى ذلك التوظيف صبغة إنسانية على المعاني التي كان يريد من خلالها أن يبني صوره الشعرية، فاستطاع أن يفعل ذلك في مدحياته للمعز الفاطمي وبقية ممدوحيه، وأيضًا استرفد من ذلك المصدر لبناء صوره الفنّيَّة في أغراضه الشعرية الأخرى.

3. المصدر الطبيعي:

كانت الطبيعة تشكل بجميع مكوناتها مصدرًا من مصادر بناء الصورة الفنّيَّة والشعرية عند كثير من الشعراء، فهذا المصدر هو الركن الذي " يعيشون في خضبه، ويتأثرون فيه، وبما يدّب عليه من ساكن أو صائت "(البطوش، 2018م).

وقد نهج كثير من الشعراء باستلهام عناصر من الطبيعية لبناء صورهم الشعرية، فالطبيعة تشير إلى رمزيات متعددة، ففيها عنصر الجمال، وفيها أيضًا الحركة والديمومة، وتشتمل أيضًا على جانب السكون، بالإضافة إلى اتصافها بمظهر القوة الخارقة في بعض عناصرها، كالرياح، والأمطار، والرعد، وغيرها.

وابن هانئ الأندلسي نلحظ من خلال نماذج شعرية متعددة عنده مدى براعته وقدرته على تشكيل صوره الشعرية من جوانب الطبيعة المتعددة، ونبدأ بالطبيعة الصائتة وتشكلات الصورة منها في أشعاره، فهو في البيت التالي يصف المكارم بالظباء، وقد توارت هذه المكارم كما تتوارى الظباء في كُناسها – أي بيتها -، وهذا البيت قد امتدح به ابن هانئ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وأراد بالمعنى هنا ألَّا وجود لمكارم في ظل مكارم المعز وعطاياه، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

إنَّ المَكَـارِمَ كُنَّ سَرْبَـًا رَائِـدًا حَتَّـــى كَنَسْنَ كَأَنَّهُنَّ ظِبَاءُ
وطَفَقْتُ أَسْأَلُ عَنْ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ فَإِذَا الأَنَامُ جِبِلَّةٌ دَهْمَـــاءُ
حَتَّى دُفِعْتُ إِلى المُعِزِّ خَلِيْفَةً فَعَلِمْتُ أَنَّ المَطْلَــبَ الخُلَفَاءُ

وفي إحدى قصائد مدحه لجعفر بن علي الأندلسي، سار ابن هانئ في مطلع قصيدته على ما سار عليه الشعراء قديمًا، فابتدأ قصيدة المدح بمطلع غزلي، حيث وصف من خلاله شوقه للديار التي كانت تقطنها المرأة المعشوقة، ومن أبيات هذا المطلع قوله: (الأندلسي، 1980م)

بِأَبِي المَهَا وحْشِيَّـةً أَتْبَعْتُهَا نَفَسًا يُشَيِّـعُ عِيْسَهَا ما آبَا

حيث يفتدي ابن هانئ في البيت السابق أولئك النسوة بأبيه، فهنَّ قد ظهرن كبقر الوحش في سمنتهن، وجمال عيونهن.

وإذا أراد ابن هانئ أن يعبر عن صورة القوة والبأس عند ممدوحه، فإنه يستقطب لتلك الصورة من الحيوانات ما يمثل ذلك ويدلل عليه، فهو في البيت التالي يمتدح جعفر بن علي ويناديه بالليث، إذ شبه قوة بأسه بقوة الأسد، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

يَا لَيْثَ كُلّ عَرِيْنَةٍ يَا بَدْرَ كُلّ دُجُنَّـةٍ يَا شَمْسَ كُلّ ضَحَاءِ

وفي البيت التالي يمتدح ابن هانئ جعفر وأخاه يحيى ابنا علي الأندلسي، ويصورهما بأسدي الجيوش لمضاء بأسهما، ورباطة جأشهما في ساحات المعارك والقتال، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

تَرَى بِهِمَا أَسَـــدَيْ جَحْفَلٍ غَدَاةَ المَوَاكِـــبِ وابْنَيْ جَلا

وممدوح ابن هانئ جعفر بن علي قد بدا بهيئة ليث، والدرع عليه كغابة احتوت ذلك الليث، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ أَرَى بَشَرَ‌ًا كَذَا لَيْثَ‌ًا ولا دِرْعَ‌ًا يُسَمَّـــى غَابَا

أما الطبيعة الصامتة، فقد وظفها ابن هانئ أيما توظيف، حيث انسجمت عناصر الطبيعة هذه مع صوره الشعرية التي أراد أن يبرزها للقارئ، فقد شبه في إحدى مدحياته للمعز الفاطمي لمعان سيوف جنوده في ساحة القنال بالبرق، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

فَكَأَنَّمَا فَـــوقَ الأَكُفّ بَوارِقٌ وكَأَنَّمَا فَـــوقَ المُتُونِ إِضَاءُ

وقال أيضًا ابن هانئ يصف سيفًا ليحيى بن علي وكأنه لسان برق وقد جرِّد من غمده، فبان لمعانه للعيان: (الأندلسي، 1980م)

و أَبْيَضَ كَلِسَانِ البَرْقِ مُخْتَـرِطٍ مِنْ دُونِ حَقِّ مُعِزِّ الدِّيْنِ إِصْلِيْتِ

وفي شمس النهار وبدر الليل مصدر لصور ابن هانئ الشعرية، وخاصة تلك التي يتناول من خلالها الحديث عن ممدوحيه، حيث قال في إحدى قصائده التي رثى فيها والدة جعفر ويحيى: (الأندلسي، 1980م)

وإنَّ حَصَانَاً نَمَــتْ جَعْفَرًا ... وَيَحْيَــى لعَادِيَّةُ المُنْتَمَى

فَجَاءَتْ بِهَذَا كَشَمْسِ النَّهَارِ ... وجَاءَتْ بِهَذَا كَبَدْرِ الدُّجَــى

فابن هانئ في البيتين السابقين يشبه جعفرًا بشمس النهار، وأخاه يحيى ببدر يضيء سدف الظلام، وفي ذلك إشارة من ابن هانئ لشرعيتهما في الحكم، إذ بحكمهما حقَّ العدل، وأصبحت عيشة الرعية في في رغدٍ ونعماء.

وفي قصيدة مدح قالها ابن هانئ في المعز لدين الله الفاطمي، ابتدأ الشاعر قصيدته بمطلع غزلي، وبعد ذلك خَلُص إلى الحديث عن ابن الحمامة – أي فرخها -، حيث لاحظ الشاعر في عينيه حُمرةً وكأنها نارٌ أُشعلت من ضلوعه، وفي ذلك إشارة للحزن الذي يجمعها، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

ومَا رَاعَنِي إِلَّا ابنُ ورْقَاءَ هَاتِفٌ ... بِعَيْنَيهِ جَمْرٌ مِنْ ضُلُوعِي مَشْبُوبُ

فجاءت الصورة من مصدر الطبيعة في البيت السابق، متمثلة في جمر النار الذي عبر عنه الشاعر، وبعد أن رأى الشاعر ما رآه في هذا الفرخ، وجه له دعوة بأن يقترب منه، وذلك ليحميه بمدامع عينيه التي صورها وهي تنهمر بشأبيب مطر تنزل من السماء، حيث قال:

هَلُمَّ عَلَى أَنّي أَقِيْكَ بِأَضْلُعِـي ... فَأَمْلِكُ دَمْعِي عَنْكَ وهُو شَآبِيْبُ

وكان ابن هانئ إذا ما أراد أَن يصف كرم وسخاء ممدوحه جعفر بن علي، يسترفد لبناء صورة الكرم والجود هذه من مصادر الطبيعة، فالبحر بأمواجه وسعته أعمق تمثيل لذلك المعنى، وهو معنى قد استخدمه كثير من الشعراء، وابن هانئ من بين هؤلاء الشعراء الذين أحسنوا توظيف هذا المصدر للتعبير عن الصورة الشعرية، فهو في البيت التالي يُقسِم بأنه لن يغادر سخاء ممدوحه بعد أن قارن البحار به، فوجد أن هذه البحار زيف وسراب مقابل بحار الكرم والجود التي عرفها في ممدوحه، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

آليْتُ أَصْـدُرُعَنْ بِحَارِكَ بَعْدَمَا ... قِسْــتُ البِحَارَبِهَا فَكُنَّ سَرَابَا

ويستمد ابن هانئ لوصف ممدوحه جعفر - بموطن آخر - من عالم المطر صورة للتعبير عن جوده وكرمه الذي غمره به، فهو بذلك السخاء قد فاق المطر الوسمي الذي يأتي في الربيع الأول، وأيضًا قد تجاوز ما يأتي من مطرٍ بعد هذا المطر الوسمي، إذ أغرق نداه الرُّبى وطما عليها، فقال: (الأندلسي، 1980م)

لَمْ أُمْطَرِ الوَسْمِــيَّ إِلَّا بَعْدَمَا ... سَبَقَ الوَلِيَّ لَهُ وقَدْ غَمَرَ الرُّبَى

أما مدائح ابن هانئ التي نظمها في ممدوحه جعفر غدت كالمرجان والدُّرّ النفيس، وهو بهذا الوصف يقدم صورة لمدائحه من أغلى وأنفس مصادر الطبيعية، حيث قال: (الأندلسي، 1980م)

نَظَمْتُ رَقِيْقَ الشّعْرِ فِيْكَ وجَزْلَهُ ... كَأَنّي بِالمُرْجانِ والدُّرّعَابِــثُ

وبعد دراسة هذه الجزئية وهذا المصدر، فقد تبين اهتمام ابن هانئ للاستلهام من الطبيعة وعناصرها المتعددة لبناء صوره الشعرية، إذ لا تكاد أن تخلو قصيدة له من مظاهر الطبيعة، فهو إن أَراد أَن يتحدث عن الكرم والجود يستحضر صورة البحار والأمطار لذلك، وإن أَراد أَن يتحدث عن القوة والبأس نلاحظ بأَنه يذيب صورة ممدوحه بصورة القوة عند بعض الحيوانات كالأُسود، أَمّا إن عكف على التعبير عن سنا وبياض محيا ممدوحه، نلحظه يقرن هذه الصفة بالشمس، والبدر، والنجوم في السماء، حتّى السُّيوف فقد جعل من لمعانها صورة مشابهة للمعان البروق.

4. المصدر الثقافي:

المصدر الثقافي هو موروث يكتسبه الإنسان من واقعه الافتراضي الذي يعيشه، وهذا الواقع يهيئ له أبعادًا ثقافية متعددة التشكيل والأضرب، لذلك يعد الموروث الثقافي مزيجًا من المعتقدات والتاريخ، والأمثال، والأساطير، والخرافات، والقصص، وفي هذه الوفرة تأتي مهمة الشاعر، فيأخذ من هذه المعطيات ليعيد صورتها البنائية في أشعاره، معبرًا عن أحكامه، وما يدور في مخيلته.

وعطفًا على ما سبق، فإن التراث بتعدد منابعه " ليس نصوصًا جامدة تحفظ في أمّات الكتب القديمة، وليس متحفًا للأفكار نفخر بها، وننظر إليها بإعجاب، ونقف أمامها بانبهار وندعو العالم معنا للمشاهدة والسياحة الفكرية، بل هو نظرية للعمل، وموجه للسلوك، وذخيرة قرمية "(حنفي، 1981م).

وابن هانئ يعد من الشعراء الذين استطاعوا أن يتمثلوا ثقافة عصرهم في أشعارهم، فعصره يُعدُّ غنيًا بعناصر الثقافة التي تشكل معينًا زاخرًا، فيستلهم منه مادة لصوره الشعرية، وفي هذا الجانب برز عند ابن هانئ توظيفه للأمثال العربية ضمن صوره الشعرية، فكان في بعض قصائده يعمد للمثل العربي، حيث يعيده في الأذهان من خلال إلصاقه بصوره الشعرية، وهو في ذلك يذهب لترسيخ صوره في نفس المتلقي، كما رسخت تلك الأمثال في الأذهان منذ القدم.

ومما ورد من توظيف للموروث الثقافي في باب الأمثال العربية عند ابن هانئ، قصيدة مدح قالها في جعفر بن علي الأندلسي، وكانت مناسبة تلك القصيدة التهنئة والمباركة لاستيلائه على قلعة " كتامة "، فيصف ممدوحه جعفر وكأنه طائر " العنقاء "[5] يحلّق في السماء، فينقض على الأعداء ويخطفهم، فيختفي بذلك ذكرهم أبدا، وهو هنا يوظف المثل العربي المشهور والمتناقل منذ القدم " حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقَاءُ مُغْرِبٌ "، حيث قال ابن هانئ في ذلك: (الأندلسي، 1980م)

كَأَنَّ عَلَيْهِمْ مِنْكَ عَنْقَاءَ تَعْتَلِي فَلَيْسَ لَهَا مِنْ أَنْ تَخَطَّفَهُـمْ بُدُّ

وفي إحدى قصائده الرثائية التي قالها يرثي والدة جعفر بن علي الأندلسي، يصور ابن هانئ معاناته وتذمره من الليل، فهو في صراع مع الوقت، حيث صرح بأنَّه لو عزم على مغالبته والانتصار عليه، لتكشف صبحه، وبانت أسفاره، وبذلك يكون قد عدا عنه كما قيل في الشنفري: " أَعْدَى مِنَ الشَّنفَرى "[6]، إذ قال: (الأندلسي،1980م)

أعِنّي عَلَـى اللَيْلِ لَيْلِ التَّمَامِ ودَعْنِي لِشَأْنِي إذَا ما انْقَضَـى
فَلَوْ كُنْـتُ أَطْوِي عَلَى فَتْكِهِ تَكَشَّفَ صُبْحِي عَنِ الشَّنْفَـرَى

ويجعل ابن هانئ في موطنٍ آخر من أشعاره ممدوحيه جعفر ويحيى ابني علي الأندلسي وقد بديا في هذا الزمان بصورة واحدة، ولم يكن قبلهما شبيها لهما، فأصبحا بانفرادهما هذا " كَبَيْضَةِ العُقْرِ "[7]، إذ لم يكررهما الزمان، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

وَمَا كَانَتِ الأَيَّامُ تَأْتِي بِمِثْلِكُمُ قَدِيْمَـًا ولَكِنْ كُنْتُمْ بَيْضَةَ العُقْر

وكانت بعض أمثال العرب قديمًا تتصل بقصة قد جرت أحداثها في الواقع، وقد وثّقت هذه القصص والحكايات وما نتج عنها من أمثال، وتناقلتها العرب من جيل إلى جيل، ولم يغفل ابن هانئ الأندلسي عن هذه القصص والأمثال المرتبطة بها، حيث وظفها في أشعاره لتعطي دلالات يريدها أن تتحقق في صوره الشعرية.

ومن هذه القصص والأمثال قصة " مُضر الحمراء " و" ربيعة الفرس "[8] أو ما روي " بربيعة الخيل "، حيث أراد أن يعلي ابن هانئ من شأن ممدوحه، فقال بأن مُضر قد انضوت تحت خيامها، وبأن نزارًا قد قال لربيعة: ألجم فرسك، فما لهذه المراتب والمكانة لأهلها من وجود يضاهي ممدوحه، حيث له فرع لم يدانيه النجم ظلًّا، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

ثَوَتْ مُضَرُ الحَمْرَاءُ تَحْتَ طِرَافِهَا وقَالَتْ نِزَارٌيا رَبِيْعَـةَ أَلْجِمِـي
لَكُمْ فَارِعٌ لَمْ يَبْلُغِ النَّجْـمُ ظِلَّهُ وشَاهِقَـةٌ قَعْسَـاءُ لَمْ تَتَسَنَّـمِ

ومن قصص الكرم والسخاء عند العرب قديمًا، يستحضر ابن هانئ شخصيات عرفت بهذه الصفة، فحاتم الطائي وكعب بن مامة يعدان من أجواد العرب، ولكنه يرى ممدوحه القائد " جوهرًا " قد سما على هاتين الشخصيتين، حيث رآه سمحًا على الدين، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

---

[5] - العنقاءُ: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم، وأغرب أي صار " غريبًا "، ووصف هذا الطائر بالمُغرب لبعده عن الناس، وبه قيل المثل: " حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقَاءُ مُغْرِبٌ "، انظر: الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت-لبنان، دار المعرفة، 1995م، ج1، ص210.

[6] - الشنفرى: هو ثابت بن أوس الأزدي، شاعر جاهلي، من فحول الطبقة الثانية، كان من فُتَّاك العرب وعدَّائهم، وعُرِفَ بسرعته، وفيه قيل المثل: " أَعْدَى مِنَ الشَّنفَرى "، انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص46.

[7] - بيضة العُقْرِ: مثلٌ يقال للشيء ويضرب له فيكون مرة واحدة، وقيل إنها بيضة الديك، وإنها ما يُختبر به عذرة الجارية، انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص96.

[8] - مُضر الحمراء وربيعة الفرس: يُقال أنَّ نزارًا والد مُضر وربيعة وإياد أنمار عندما حضرته الوفاة جمع بنيه، وقال لهم: يا بَنِيَّ، هذه القبة الحمراء – وكانت من أدم – لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذا الخادم لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أُشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الأفعى الجرهمي، ومنزله بنجران، فحدث بينهم خلاف بعد وفاة أبيهم، فذهبا إلى الأفعى الجرهمي، وبعد أن استظافهم، ورأى منهم الذكاء والفطنة، أعطى كل واحد منهم نصيبه كما أمر والدهم قبل وفاته، فجرت هذه القصة مجرى المثل بين العرب، انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص10.

ذَرُوا حَاتِمَـاً عَنَّا وكَعْبَـاً فَإنَّنَا رَأَيْنَاه بِالدُّنيَا على الدّيْن أَسْمَحَا

ولابن هانئ في مدحة للمعز الفاطمي وصف يستحضر من خلاله شخصية الأعرابي الجواد حاتم الطائي، ولكن الكرم هنا ممتزج بالقوة والبأس، فكفه في الطعان وقتل الأعداء تفوق كرم الطائي حاتم في قرى الضيوف، إذ قال: (الأندلسي، 1980م)

وذِي تُـدْرَإ كَفُّـــهُ بِالطّعَا نِ أَسْمَحُ مِنْ حَاتِمٍ بِالقِـــرَى

ويصف ابن هانئ في البيت التالي حلم ممدوحه، وصفحه عن ذنب غيره، ليجمعه بشخصية عربية عرفت بالحلم والصفح، فصخر بن قيس التميمي لُقّب بالأحنف لحلمه وسماحته، إذ قال ابن هانئ واصفًا ممدوحه: (الأندلسي، 1980م)

تُغْضِي عَنِ الذَّنْبِ أَحْيَانًا فَتَحْسَبُنِي أَشُكُّ فِي أَحْنَفِ الحِلْمِ التَّمِيْمِـيّ

وبناءً على ما تقدم، فقد ظهر جليًا للباحثة مدى اهتمام ابن هانئ الأندلسي بالإلمام بثقافة عصره وما سبقه من معارف، حيث دلّت صوره الشعرية على سعة اطلاعه وتمكنه من الموروث الثقافي بشتى منابعه، كالأمثال العربية، وأيضًا اهتمامه بالاطلاع على القصص والنوادر التي تناقلتها العرب من جيل إلى جيل، ولم يغفل أيضًا ابن هانئ العلم والدراية بأبرز شخصيات العرب التي ذاع صيتها بين الناس إلى يومنا هذا، فاستطاع أن يوظف هذا الموروث لبناء صوره الشعرية، ولكن كانت قلة ورود الصور الشعرية من المصدر الثقافي في شعر ابن هانئ اعتماده على نحو أكبر على المصادر الأخرى.

الخاتمة،

وبعد دراسة جزئيات البحث السابقة، يمكن أن تخلص الباحثة نتائج، أبرزها ما يأتي:

- يعد ابن هانئ الأندلسي من شعراء الدولة الفاطمية الذين أجادوا الشعر والوصف، على الرغم من تجاوزه الحدود فيما أورده من مديح للخليفة الفاطمي المعز لدين الله وبعض أعوانه، حيث أوقعه هذا التجاوز في دائرة الكفر والإلحاد، وهذا ما أشار له كثيرٌ من الدارسين لأشعاره.
- ظهرت إجادة ابن هانئ في نظمه للشعر من خلال أمور عديدة، كان أبرزها قوة صوره الشعرية التي استحضر لبنائها من مصادر مختلفة، فبرع بإذابة صوره في تلك المصادر، وجعل القارئ يحس بأن المصدر قد وُجد لمثل هذه الصور الآخاذة.
- استطاع ابن هانئ أن يطلع وبعمق على جانب الدين والعقائد في عصره، وتمثل هذا المصدر من خلال اطلاعه على سور القرآن الكريم والأمور العقائدية، بالإضافة لإلمامه بقضايا وعقائد الفاطميين، فوظف هذا الجانب وتناص معه في بناء صوره الشعرية، لما لها من وقع في نفوس متلقيها.
- برع ابن هانئ في استرفاده من المصدر الإنساني ولوازمه لبناء صوره الشعرية، حيث بعث الحياة والحركة في تلك الصور التي جلب لها من عالم الأنسنة روحًا لتنمو بها.
- كان ابن هانئ في كثير من صوره الشعرية قوي التعبير، حيث تمثل ذلك في مصدر الطبيعية الصائتة والصامتة، فتشكلت صوره الشعرية من هذا المصدر بأشكال متعددة تتناغم مع مقام المعنى، فتارة نرى الصورة قوية كالبرق والمطر، وتارة نلحظ في صوره الهاء والهدوء كالشمس والبدر.
- عمد ابن هانئ إلى موروث الثقافة لبناء صوره الفنّيَّة والشعرية، فألَمَّ بعيون ثقافة عصره وما سبقه من علوم ومعارف، كالأمثال، والقصص، والحكايات، وأبرز الشخصيات التي عرفت عند العرب، واستطاع من خلال هذا الكمّ المعرفي أن يبني كثيرًا من صوره من خلال إذابتها في هذا الموروث، لجعلها نابعضة حيّة لإشراكها بهذا المصدر الذي لا يفنى أو يتلاشى.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

ابن الآبار، م. (1985). *الحلّة السيراء*. (ط2). القاهرة: دار المعارف.

إسماعيل، ع. (1981). *الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنيّة*. (ط3). بيروت: دار العودة.

الأصفهاني، أ. (2011). التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة. *بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة*، 5، 5.

الأندلسي، م. (1980). *الديوان*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

البطل، ع. (1983). *الصورة في الشعر العربي*. (ط3). بيروت: دار الأندلس.
البطوش، إ. (2018). *الصور الفنّيّة في شعر ابن القيسراني*. (ط1). عمان، الأردن: دار المأمون للنشر والتوزيع.
ابن تغري بردي، ي. (1963). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. مصر: منشورات وزارة الثقافة.
الجاحظ، ع. (د.ت). *الحيوان*. القاهرة: مطبعة الحلبي.
الجرجاني، ع. (1984). *دلائل الإعجاز*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
ابن جعفر، ق. (1936). *نقد الشعر*. الناصرة: مطبعة السعادة.
الحموي، ي. (1993). *معجم الأدباء*. (ط1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
حنفي، ح. (1981). *التراث والتجديد*. (ط1). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
خلكان، أ. (1972). *وفيات الأعيان*. بيروت: دار الثقافة.
زايد، ع. (1978). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. (ط1). طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع.
الشناوي، ع. (2003). *الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي*، (ط1). الإمارات: دار السويدي للنشر والتوزيع.
طاليس، أ. (1967). *فنُّ الشعر*. القاهرة: دار الكتب.
ابن طباطبا، م. (2005). *عيار الشعر*. (ط2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
عودة، خ. (1987). *الصورة الفنيَّة في شعر ذي الرُّمَّة*. القاهرة: دار السويدي للنشر والتوزيع.
القرطاجني، ح. (1966). *منهاج البلغاء وسراج الادباء*. تونس: درا الكتب الشرقية.
ابن كثير، ع. (2004). *البداية والنهاية*. (ط1). عمَّان: نشر بيت الأفكار الدولية.
الميداني، أ. (1955)، *مجمع الأمثال*. بيروت، لبنان: دار المعرفة.
النوافلة، ج. (2008). *أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث. رسالة دكتوراه*، جامعة مؤتة.
هدية، م. (1984). *الصورة في شعر الديوانيين*. مصر: المطبعة الفنيَّة.
هلال، م. (1997). *النقد الأدبي الحديث*. القاهرة: مطبعة دار نهضة مصر.

References

The Holy Quran.
Ibn Al-Abar, M. (1985). *Al-Hilla Al-Sira'a.* (2nd ed.). Cairo: Dar Al-Maaref.
Ismail, A. (1981). *Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic Phenomena*. (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Awda.
Al-Isfahani, A. (2011). The Religious Heritage in the Poetry of Samih Al-Qasim, the Poet of Resistance. *Research published in the Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Mutah University*, 5, 5.
Al-Andalusi, M. (1980), *Al-Diwan*. Beirut: Beirut Printing and Publishing.
Al-Batal, A. (1983). *The Image in Arabic Poetry*. (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Andalus.
Al-Batush, I. (2018). *Artistic Images in the Poetry of Ibn Al-Qaysrani*. (1st ed.). Amman, Jordan: Dar Al-Mamoun for Publishing and Distribution.
Ibn Taghri Bardi, Y. (1963). *The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo.* Egypt: Ministry of Culture Publications.
Al-Jahiz, A. (n.d). Al-Hayawan. Cairo: Al-Halabi Press.
Al-Jarjani, A. (1984). *Evidence of Miracles*. Cairo: Al-Khanji Library.
Ibn Jaafar, Q. (1936). *Criticism of poetry*. Al-Saada Press.
Al-Hamwi, Y. (1993). *Dictionary of Writers*. (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Gharb al-Islami.
Hanafi, H. (1981). *Heritage and Renewal.* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing
Ibn Khalkan, A. (1972). *Deaths of Notables*. Beirut: House of Culture.
Zayed, A. (1978). *Summoning Heritage Personalities in Contemporary Arabic Poetry*. (1st ed.). Tripoli: Publications of the General Company for Publishing and Distribution.
Al-Shennawy, A. (2003). *The poetic image of the blind Tatali,*. (1st ed.). Emirates: Dar Al-Suwaidi for Publishing and Distribution.
Thales, A. (1967). *The Art of Poetry*. Cairo: Dar al-Kutub.
Ibn Tabataba, M. (2005). *Qayir al-Sha'ar,*. (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Odeh, K. (1987). *The Artistic Image in the Poetry of Dhul-Rama.* Cairo: Dar Al-Suwaidi for Publishing and Distribution.

Al-Qirtagani, H. (1966). *Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adaba*. Tunisia: Dar al-Kutub al-Sharqiah.

Ibn Katheer, A. (2004). *The Beginning and the End.* (1st ed.). Amman, Jordan: The International House of Ideas.

Al-Midani, A. (1955). *Complex of Proverbs*. Beirut, Lebanon: Dar Al-Maarifa.

Al-Nawafila, C. (2008). *The Impact of the Noble Qur'an on Modern Palestinian Poetry. Ph.D thesis*, Mutah University.

Hadiya, M. (1984). *The Image in the Poetry of Diwans.* Egypt: Technical Press.

Hilal, M. (1997). *Modern Literary Criticism.* Cairo: Egypt's Renaissance House Press.